شبهات حول الأنبياء -عليهم السلام-

اعداد

صالح بن صليح القرشى

ماجستير تخصص تفسير وعلومه كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية قسم التفسير وعلوم القرآن

المستخلص :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد: لقد أثار المشركون من كلِّ الأقوام والْمِلَلِ الشبهاتِ حول رُسُلهم، وعاندوا وشكَّكوا في دعوتهم، فردَّ الله عليهم حججهم وشبهاتِهم، وأظهر كذب ادّعاءاتِهم في كتابه العزيز.

وفي بحثي هذا قمت بإيراد بعض تلك الشبه التي أثاروها والردّ عليها، بعد الاستعانة بالله، ثم الرجوع للمصادر والمراجع من كتب التفسير وعلوم القرآن.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على: تمهيد، ومبحثين، وخاتمة، ثم قائمة المصادر.

وذلك على النحو الآتي: التمهيد، وفيه بيان لمفهوم الشبهة، وأسباب نشأة الشبهات.

والمبحث الأول اشتمل على: تشابه شُبه الكفار على مَرِّ العصور، ومثلت باعتراض قوم نوح عليه السلام، واعتراض قوم صالح عليه السلام، واعتراض قوم شعيب عليه السلام، واعتراض قوم محمد ﷺ.

والمبحث الثاني: فصلت الرد على شبه هؤلاء الكفار، وهي: إبطال شبهة إنكار بشرية الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام-، وإبطال شبهة كون الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- فقراء.

وختمت البحث بخاتمة، وقائمة بالمصادر.

الكلمات المفتاحية: الأنبياء، الشبهة، القرآن الكريم، إنكار.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، شرع لنا ديناً قويماً، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وهو اللطيف الخبير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وعَصَمَه في دينه وخُلُقِه؛ ليكون أميناً على وحيه، مبيناً لكتابه، خاتماً لأنبيائه ورسله، ولتقوم به الحجة والقدوة على هذه الأمة إلى يوم الدين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه البررة الأوفياء، أئمة الدين، وصفوة الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عمن تبع سنتهم، وسلك طريقتهم، واقتفى أثرهم، ونصرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى} [النمل: ٥٩]، ويقول سبحانه: {وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ} [ص: ٤٧].

إن رب العزة في هاتين الآيتين، يبين لكافة عباده أنه اختار واصطفى من خلقه أناساً أخياراً، عصمهم في ظاهرهم وباطنهم، ورضي عنهم وهداهم قبل النبوة وبعدها؛ لما علمَه ﷻ فيهم من أنهم سيكونون هداة للخلق يُخرِجونَهم من الظلمات إلى النور، ويهدونهم إلى صراط العزيز الحميد.

إننا لا نستطيع أن ندرك سِرَّ كمال عقولهم وعقيدتهم وأخلاقهم، وبراءتهم من كل نقائص ومثالب بيئاتهم التي نشأوا فيها إلا أن نقول: إنه الإعداد الإلهي للنبوة {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } [الأنعام: ١٢٤][1].

لقد أثار المشركون من كلِّ الأقوام والْمِلَلِ الشبهاتِ حول رُسُلهم، وعاندوا وشكَّكوا في دعوتهم، فردَّ الله عليهم حججهم وشبهاتِهم، وأظهر كذب ادّعاءاتِهم في كتابه العزيز.

وفي بحثي هذا قمت بإيراد بعض تلك الشبه التي أثاروها والردّ عليها، بعد الاستعانة بالله، ثم الرجوع للمصادر والمراجع من كتب التفسير وعلوم القرآن.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على: تمهيد، ومبحثين، وخاتمة، ثم قائمة المصادر، وذلك على النحو الآتي:

التمهيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الشبهة.

المطلب الثاني: أسباب نشأة الشبهات.

المبحث الأول: تشابه شُبه الكفار على مَرِّ العصور، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اعتراض قوم نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: اعتراض قوم صالح عليه السلام.

المطلب الثالث: اعتراض قوم شعيب عليه السلام.

المطلب الرابع: اعتراض قوم محمد ﷺ.

المبحث الثاني: الرد على شبه الكفار، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إبطال شبهة إنكار بشرية الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- .

المطلب الثاني: إبطال شبهة كون الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- فقراء.

الخاتمة. قائمة المصادر.

(١) رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ (ص: ٤-٦).

التمهيد

- **المطلب الأول: مفهوم الشبهة:**
  - **الشبهة في اللغة:**

(الشُّبْهَة) بالضم: الالتباس والمثل، وشُبِّهَ عليه الأمر تشبيهاً: لُبِّسَ عليه، وفي القرآن الْمُحْكَمُ والْمُتَشَابِه.

و (الْمُتَشَابه): النَّص القرآنِي يحْتَمل عدَّة معَان، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}، وأمور مُشْتَبِهَةٌ ومُشَبَّهَةٌ، كمُعَظَّمَة: مُشْكِلة[١].

  - **الشبهة في الاصطلاح:**

مشابهة الحق للباطل والباطل للحق من وجه إذا حُقِّقَ النَّظرُ فيه ذهب، وقيل الشبهة: مَا الْتبس أمره فَلا يدرى أحلال هُوَ أم حرَام وَحقّ هُوَ أم بَاطِل[٢].

- **المطلب الثاني: أسباب نشأة الشبهات:**

١/ الجهل:

الجهل بحقيقة الشيء المشتبه فيه كلياً أو جزئياً، وذلك كالجهل بالدين وحقيقته، أو الجهل بحكم من أحكامه، أو موقف من مواقفه؛ وذلك: كجهل غير المشركين بطبيعة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنهم معصومون عن الخطأ في التشريع والتلاعب بكلام الله ﷻ ، فمثلاً: نسبوا القرآن الكريم بسبب الجهل، إلى محمد ﷺ، وجعلوه من صنعه، أو ادعى بعضهم: أن الرسول ﷺ تصرف في القرآن بعض التصرف، أو نعت بعضهم القرآن بأنه نوع من السحر والكهانة والشعر.

وقد نفى الله سبحانه وتعالى كل ما ادعوه بسبب جهلهم، فقال سبحانه: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الحاقة: ٣٨ - ٤٣]، فأثبت أنه وحي منزل من عند الله.

٢/ العداء:

العداء للشيء لسبب عقدي، أو عنصري، أو قبلي، أو غير ذلك، فيعمل العدو على لَبْس الحق بالباطل، لِقَلْب الجميل قبيحاً، وتصوير القبيح جميلاً، كما يعمل على الاستهزاء بالحق وصرف الناس عنه.

ومن هنا استنكر القرآن على الكفار رفضهم للحق وعداءهم له رغم علمهم بالحقيقة، وتيقنهم من صحة ما يرفضونه، فقال سبحانه: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [آل عمران: ٧٠-٧١][٣].

أي: يا أهل التوراة والإنجيل لم تجحدون آيات الله التي أنزلها على رسله في كتبهم، وفيها أن محمداً ﷺ هو الرسول المنتظر، وأن ما جاءكم به هو الحق، وأنتم تشهدون بذلك؟ ولكنكم تنكرونه[٤].

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ٤٧١)، والقاموس المحيط (ص: ١٢٤٧).
(٢) المعجم الوسيط (١/ ٤٧١)، والتعريفات (ص: ١٢٤)، والتوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٠١).
(٣) الشبهات المثارة حول الإسلام وموقف المسلم تجاهها، (ص:٣-٤).
(٤) التفسير الميسر (١/ ٥٨).

المبحث الأول:
تشابه شبه الكفار على مرّ العصور

لقد دأب المشركون على تكذيب رسلهم والاعتراض على دعوتهم، وكان حالهم في ذلك سواء، مع اختلاف الرسل والأنبياء والأزمان التي جاؤوا فيها؛ إلا أن موقف أقوامهم كان متشابهاً، واعتراضهم كان متحداً، أخبر الله عن حالهم في كتابه العزيز فقال سبحانه: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [التغابن: ٥، ٦].

قال الطبري -رحمه الله- "الذي نال الذين كفروا من قبل هؤلاء المشركين من وبال كفرهم، وما أعدّ لهم ربهم يوم القيامة من العذاب؛ من أجل أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات، والواضحات من الأدلة، والإعلام على حقيقة ما يدعونهم إليه، فقالوا لهم: أبشر يهدوننا؛ استكبارًا منهم أن تكون رسل الله إليهم بشرًا مثلهم واستكبارًا عن اتباع الحقّ من أجل أن بشرًا مثلهم دعاهم إليه؛ وجمع الخبر عن البشر، فقيل: يهدوننا، ولم يقل: يهدينا، لأن البشر، وإن كان في لفظ الواحد، فإنه بمعنى الجميع[١].

- **المطلب الأول: اعتراض قوم نوح عليه السلام:**

أرسل الله سبحانه وتعالى نوحاً إلى قومه منذراً لهم عذاب الله وشديد بأسه وانتقامه على إشراكهم به، فقال لهم متعطفاً عليهم، ومستميلاً لهم لقبول الحق: يا قوم اعبدوا الله وحده وأطيعوه، ولا تشركوا معه رباً سواه، فإنه لا رب لكم غيره، ولا معبود سواه، أفلا تخشون عقابه وتحذروا أن تعبدوا معه سواه؟، فماذا كان ردهم؟[٢]، قال الله تعالى حاكياً عن قصة نوح عليه السلام وموقف قومه تجاه دعوته: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ} [المؤمنون: ٢٣ - ٢٥].

قال الرازي -رحمه الله-: "لقد كان ردهم على دعوة نبيهم لهم : هذا الإنسان مشارك لكم في جميع الأمور، ولكنه أحب الرياسة والمتبوعية فلم يجد إليهما سبيلاً إلا بادعاء النبوة، فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته، فهذا الاحتمال متأكد بقوله تعالى خبراً عنهم يريد أن يتفضل عليكم أي يريد أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم"[٣].

وقال القاسمي -رحمه الله- في تفسيره: "قولهم "يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ" لم يرد الله على حججهم الباطلة لركاكتها ووضوح فسادها، فإن أرادوا به إرادته لإظهار فضله، حتى يلزمهم الانقياد لطاعته، فهذا واجب على الرسول، وإن أرادوا به أن يرتفع عليهم على سبيل التجبر والتكبر والانقياد، فالأنبياء منزّهون عن ذلك، وأما قولهم ما سَمِعْنا بِهذا فهو استدلال بعدم التقليد على عدم وجود الشيء، وهو في غاية السقوط؛ لأن وجود التقليد لا يدل على وجود الشيء، فعدمه بعيد من أن يدل على عدمه؟ وأما قولهم بِهِ جِنَّةٌ فقد كذبوا؛ لأنهم كانوا يعلمون بالضرورة كمال عقله، وأما قولهم فَتَرَبَّصُوا بِهِ فضعيف؛ لأنه إن ظهرت الدلالة على نبوّته وهي المعجزة، وجب عليهم قبول قوله في الحال، ولا يجوز توقيف

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٤١٨).
(٢) تفسير المراغي (١٨/ ١٧).
(٣) تفسير الرازي (٢٣/ ٢٧١).

ذلك إلى ظهور دولته؛ لأن الدولة لا تدل على الحقيقة، وإن لم يظهر المعجز لم يجز قبول قوله، سواء ظهرت الدولة أو لم تظهر(١).

- **المطلب الثاني: اعتراض قوم صالح عليه السلام:**

أرسل الله صالحاً عليه السلام إلى قبيلته وهي: ثمود وهم أهل الحجر، فأمره أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فاعترضوا على دعوته، وكذبوه أشد التكذيب، وعادوه وآذوه، وحتى الآية التي طلبوها إثباتاً لنبوته لم تسلم من أذاهم؛ فعقروها، قال الله حكايةً عن حالهم: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ } [القمر: ٢٣ - ٢٥].

قال البيضاوي -رحمه الله-: "قالُوا أبشراً مِنَّا من جنسنا أو من جملتنا لا فضل له علينا، واحِداً منفرداً لاتبع له أو من آحادهم دون أشرافهم، لو اتبعناه إننا إذاً في ضلال وسُعر، وَسُعُرٍ: جمع سعير كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم إياه ما رتبه على ترك اتباعهم له، وقيل: السُّعر الجنون.

ثم تابعوا إلقاء شبههم فقالوا أألقيَ عليه الكتاب أو الوحي مِنْ بَيْنِنا وفينا من هو أحق منه بذلك؟! بل هو كذَّاب أَشِر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه إياه(٢).

وقال النسفي -رحمه الله-: "قولهم أبشراً: إنكاراً لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية، وطلبوا أن يكون من الملائكة وقالوا: منا لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى، وقالوا واحداً انكاراً لأن تتبع الأمة رجلاً واحداً من أفقرهم، ليس من أشرفهم وأفضلهم، ويدل عليه الآية التالية لما قالوا: أأنزل عليه الوحى بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة(٣).

- **المطلب الثالث: اعتراض قوم شعيب عليه السلام:**

أرسل الله سبحانه وتعالى إلى أصحاب الأيكة شعيباً عليه السلام، فأخبرهم أنه مرسل من عند الله وأمرهم بطاعته واتباعه، وأن يتقوا الله ويبتعدوا عن المعاصي والمنكرات التي اشتهروا بها؛ فأمرهم بإيفاء الكيل وحذرهم من أن يكونوا ممن يُخسرون ويُنقصون للناس في الكيل، بل يكيلون لأنفسهم وللناس بالكيل الأقوم الصحيح، ونهاهم عن الفساد في الأرض وعدم بخس الناس أشياءهم، فهل اتبعوه وطبقوا أوامره وانتهوا عما نهاهم عنه؟ ثم ماذا كان جوابهم وموقفهم إزاء دعوته لهم؟ لقد حكى الله قصة شعيب مع قومه، وذكر موقفهم من دعوته في كتابه الكريم، فقال سبحانه: {إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ }[الشعراء: ١٧٧ - ١٨٦].

لقد أجابوه بالقدح في الرسالة أولاً، وباستصغار الوعيد ثانياً، بأن قالوا إنما أنت من المسحرين، أي: الذين كُرر سحرهم مرة بعد أخرى حتى اختبلوا، فصار كلامهم على غير نظام، أو من المعللين بالطعام والشراب، فقصدوا أنه بعيد من الصلاحية للرسالة، ثم أشاروا إلى عدم صلاحية البشر مطلقاً لها ولو كانوا أعقل الناس وأبعدهم عن الآفة بقولهم: عاطفين بالواو إشارة إلى عراقته فيما وصفوه به

(١) تفسير القاسمي (٧/ ٢٨٧).
(٢) تفسير البيضاوي (٥/ ١٦٦).
(٣) تفسير النسفي (٣/ ٤٠٣-٤٠٥).

من جهة السحر، وأنه لا فرق بينه وبينهم: وما أنت إلا بشر مثلنا أي: فلا وجه لتخصيصك عنا بذلك، والدليل على أن عطف ذلك أبلغ من إتباعه من غير عطف: جزمهم بظن كذبه في قولهم؛ وإن نظنك لمن الكاذبين أي: العريقين في الكذب[١].

- **المطلب الرابع: اعتراض قوم محمد ﷺ.**

أرسل الله محمد ﷺ إلى العرب في مكة فأنكر مشركو قريش إرسال محمد ﷺ إليهم رسولاً، واحتجوا على ذلك بأنه من البشر، كما اعترضت الأقوام قبلهم على الرسل والأنبياء بأنهم بشر، لا فضيلة لهم عليهم في خلق ولا رزق ولا حال، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فهلا بعث إلينا ملكاً! قال تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاس} [يونس: ٢]، وقال سبحانه وتعالى: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا } [الإسراء: ٩٤].

وواصل المشركين تكذيبهم وإثارة شبههم الباطلة فقالوا أن الرسول ﷺ ليس غنياً، وأنه يجب أن يكون مثل الملوك لا يخرج إلى الأسواق، قال تعالى ذاكراً شبههم الباطلة في كتابه: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا } [الفرقان: ٧، ٨].

إنها شبهٌ في غاية الركاكة، لقد ذكروا له خمسة صفات وزعموا أنها تخل بالرسالة:

إحداها: قولهم: مال هذا الرسول يأكل الطعام.

ثانيتها: قولهم: ويمشي في الأسواق يعني: أنه لما كان كذلك فمن أين له الفضل علينا وهو مثلنا في هذه الأمور.

وثالثتها: قولهم: لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً يصدقه، أو يشهد له، ويرد على من خالفه.

ورابعتها: قولهم: أو يُلقى إليه كنز أي: من السماء؛ فينفقه فلا يحتاج إلى التردد لطلب المعاش.

وخامستها: قولهم: أن تكون له جنة يأكل منها، والمعنى: إن لم يكن لك كنز فلا أقل من أن تكون كواحد من الدهاقين: فيكون لك بستان تأكل منه.

وسادستها: قولهم: إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً.

فرد الله على افتراءاتهم الباطلة بأن الذي يتميز الرسول به عن غيره هو المعجزة، وهذه الأشياء التي ذكروها لا يقدح شيء منها في المعجزة، فلا يكون شيء منها قادحاً في النبوة، فكأنه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الأمثال التي لا فائدة فيها؛ لأجل أنهم لما ضلوا وأرادوا القدح في نبوتك لم يجدوا إلى القدح فيها سبيلاً البتة؛ إذ الطعن عليها إنما يكون بما يقدح في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول[٢].

***

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٨٩).
(٢) تفسير الرازي (٢٤/ ٤٣٤-٤٣٥).

المبحث الثاني:
إبطال شبهة إنكار بشرية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وشبهة كونِهم فقراء

- **المطلب الأول: إبطال شبهة إنكار بشرية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك من وجوه:**
  - **الوجه الأول:**

ردّ الله على احتجاجهم بأن الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق بأن أكل الطعام والمشي في الأسواق والسعي على الرزق من سنن الأنبياء والرسل، فالنبي في هذا ليس ببدع، فقال سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ } [الفرقان: ٢٠]، أي: أن كل الأنبياء قبله كانت عادتهم وطبيعتهم التي فطرهم الله ﷻ عليها، أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، والنبي ﷺ ليس بدعا من الرسل، قال تعالى: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ } [الأحقاف: ٩] (١).

رُويَ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّه قيل لها: ماذا كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: كان بشراً من البشر(٢)، ذكرت ذلك تمهيداً لما تذكره بعد والذي هو محطّ الجواب، ودفعت بذلك ما رأته من اعتقاد الكفّار أنّه لا يليق بمنصبه أن يفعل ما يفعله غيره من العامّة، وإنّما يليق أن يكون كالملوك الذين يترفّعون عن الأفعال العاديّة؛ تكبراً! فقالت: إنّه كان خلقاً من خلق الله تعالى، أي: واحداً من بني آدم؛ يعتريه ما يعتريهم من الاحتياج إلى المأكل والمشرب، والمشي في السوق، والمحن والضرورات(٣).

  - **الوجه الثاني:**

من حكمة الله- سبحانه وتعالى- إرسال المرسلين من جنس من أُرسل إليهم، يأكلون ويشربون، يمرضون ويموتون، يتزوجون ويتناسلون، فبيّن الله سبحانه وتعالى للمشركين وردّ عليهم حجتهم بأنه: لم يرسل رسولاً للبشر إلا منهم، ولم تجرِ سنته بأن يرسل للبشر ملائكة، فقال عز شأنه: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } [الأنبياء: ٧، ٨]، وقال سبحانه: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ} [الأنعام: ٩] (٤).

  - **الوجه الثالث:**

أن الله عز وجل كان قادراً أن يرسل فيهم ملائكة، ولكن سيكون لهم شبهة أخرى، وهي كيف نتبع من ليس منا ولا على شاكلتنا؟! وهل يعقل أن يكون القدوة إلا من نفس جنس المأمور بالاقتداء، هم لم يرضوا أن يقتدوا بمن يتكلم بلسانهم، ويعلمون مدخله ومخرجه منذ ولادته، فهل كانوا سيرضون بمن ليس من جنسهم البشري؟! وكفى لهم حجة أن يقولوا: هو يستطيع ما لا نستطيع، ويقدر على ما لا نقدر عليه(٥).

---

(١) شمائل الرسول ﷺ (٢/ ٢٤٠).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٣/ ٢٦٣) ح (٢٦١٩٤), وقال المحققون: حديث صحيح.
(٣) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ (٢/ ٦١٨).
(٤) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (١/ ٣١٧-٣١٨).
(٥) شمائل الرسول ﷺ (٢/ ٢٤١).

- **الوجه الرابع:**

أن الله سبحانه وتعالى قد امتن على الأمم أن الرسول كان منهم ويتكلم بلسانهم، قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } [إبراهيم: ٤] [١].

- **الوجه الخامس:**

أن الله بصير بعباده، قال تعالى: {وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا } [الفرقان: ٢٠]، يعلم من يستحق منهم شرف النبوة، ومن يستحق الهداية، ومن يستحق الغواية، فببصيرته بالخلق، جعل النبي ﷺ خاتم النبيين، قال- تعالى-: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ} [الأنعام: ١٢٤] ، وختم على قلوب المعاندين من كفار قريش، فرفعت الآية قدر النبي ﷺ ودفعت شبهة المبطلين، وحكمت عليهم باستحقاق الضلال[٢].

- **الوجه السادس:**

أن المشركين كانوا يعتقدون أن منصب النبوة والرسالة أجل وأعظم من أن يُعطى لبشر، فالبشر لا يكون رسولًا، والرسول لا يكون بشرًا حسب عقيدتهم، فلما أعلن رسول الله ﷺ عن نبوته ودعا إلى الإيمان به تحيروا، وقالوا: {مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ} [الفرقان: ٧]، وقالوا: إن محمدًا بشر، {قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ } [الأنعام: ٩١]، فقال تعالى ردًّا عليهم: {قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ} [الأنعام: ٩١]، وكانوا يعرفون ويعترفون بأن موسى بشر، ورد عليهم أيضًا بأن كل الأقوام قالوا لرسلهم -إنكارًا على رسالتهم-: {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا} [إبراهيم: ١٠]، فردوا عليهم: {إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } [إبراهيم: ١١]فالأنبياء والرسل لا يكونون إلا بشرًا، ولا منافاة بين البشرية والرسالة، وحيث إنهم كانوا يعترفون بأن إبراهيم وإسماعيل وموسى عليهم السلام كانوا رسلًا وكانوا بشرًا؛ فإنهم لم يجدوا مجالًا للإصرار على شبهتهم هذه[٣].

- **الوجه السابع:**

أن الكفار إذا كانوا قد كذبوا بالرسول ﷺ؛ لأنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فقد أقام القرآن عليهم الحجة أنهم قد كذبوا بكل الرسل؛ لأنهم جميعاً كانوا يباشرون ذلك، وقد بين القرآن- في عدة مواضع- أن الذي يكذب رسولاً، فقد كذب بجميع الرسل، لأن ربهم واحد ودعوتهم واحدة، فقوم نوح أرسل إليهم نبي واحد، ومع ذلك قال الله- سبحانه وتعالى- في حقهم: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٠٥] [٤].

- **الوجه الثامن:**

أن الله سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يُرسل إليهم الملائكة، لكن الله سبحانه وتعالى لم يجبهم إلى ما سألوا؛ لأنهم لم يسألوا مسترشدين وجادين، وإنما سألوا متعنتين ومستهزئين، وقد علم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما طلبوا لما آمنوا، وللجّوا في طغيانهم يعمهون، ولَظَلُّوا في غيهم وضلالهم يترددون، قال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام: ١١١] [٥].

---

(١) شمائل الرسول ﷺ (٢/ ٢٤١).
(٢) شمائل الرسول ﷺ (٢/ ٢٤١).
(٣) أصول الدعوة وطرقها (ص: ١١٩).
(٤) شمائل الرسول ﷺ (٢/ ٢٤٠).
(٥) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (١/ ٣١٩).

المطلب الثاني: إبطال شبهة كون الأنبياء فقراء، وذلك من وجوه:

- **الوجه الأول:**

أن النبي صلوات الله وسلامه عليه لو رغب في أن تكون له الصفا وبطحاء مكة ذهباً لأجابه الله سبحانه، ولكن من أدّبه ربه فأحسن تأديبه، وكمّله عقلاً وخلقاً، واصطفاه رحمةً للعالمين، ما هو بالذي يسأل هذا، وإنما يسأله الحمقى والجهلاء، وحاشاه منهما[١].

- **الوجه الثاني:**

أنه ﷺ رغب عن زخارف الحياة، وزهد في الدنيا زهد القادر عليها، لا زهد العاجز عنها أو المحروم منها؛ ليكون في ذلك القدوة الحسنة للحكام، وولاة الأمور، الذين يكتنزون الأموال ورعاياهم جائعة عارية محرومة[٢]، وقد روى أبو أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، قُلْتُ: لَا يَا رَبِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا - أَوْ قَالَ ثَلَاثًا أَوْ نَحْوَ هَذَا - فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ»[٣].

- **الوجه الثالث:**

لما احتجوا على عدم إيمانهم بفقر الرسول ﷺ وقالوا مقولتهم: ألم يجد الله لحمل رسالته إلا هذا اليتيم المسكين؟! ما كان الله ليترك كبار أهل مكة والطائف ويتخذ هذا المسكين رسولًا، لم يتركهم جل وعلا بل أورد الله غرورهم واستكبارهم في كتابه العزيز فقال: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف: ٣١]، وأتبعه مباشرة بالردّ عليهم فقال: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الزخرف: ٣٢]، يعني: بأن الوحي والرسالة رحمة من الله، والله أعلم حيث يجعل رسالته[٤].

- **الوجه الرابع:**

لما طلب المشركين واشترطوا لإيمانهم أن تتفجر لهم الينابيع، وتكون للرسول ﷺ الجنات، والأنهار، والكنوز؛ اقتضت الحكمة الإلهية والرحمة الربانية ألا يُجَابوا إلى ما سألوا، لأن سنته سبحانه أنه إذا طلب قوم آيات فَأُجِيبوا، ثم لم يؤمنوا عذّبهم عذاب الاستئصال، كما فعل بعاد، وثمود، وقوم فرعون، قال عز شأنه: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ } [الإسراء: ٥٩].

فلو أُعطيت قريش ما سألوا من الآيات الحسية التي اقترحوها ثم لم يؤمنوا لَأُهلكوا، ولكن الله- جلّت حكمته- رفع عن هذه الأمة عذاب الاستئصال بفضل نبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه، فقد بعثه رحمة ولم يبعثه نقمة، وصدق الله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧].

فهو رحمة للبر والفاجر: رحمة للبر في الدنيا والاخرة، وللفاجر في الدنيا، فقد أَمِنُوا من الخسف والغرق، وإرسال حاصب من السماء، وأيضا فقد استفاد الناس جميعاً بالرسالة المحمدية، فلولاها لما تحررت النفوس من رق التقليد، والشرك، والخرافات، ولا العقول من الجهل والضلال، ولا المجتمعات من الظلم، والجور، والمفاسد الخلقية، ولما فتحت للبشرية هذه الآفاق الواسعة من العلم والمعرفة اللذين عادا على البشر بالخير والنفع[٥].

---

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (١/ ٣١٩).
(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (١/ ٣١٩).
(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٧٥) ح (٢٣٤٧), وقال: حديث حسن.
(٤) أصول الدعوة وطرقها (ص: ١٢٠).
(٥) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (١/ ٣٢٠-٣٢١).

- **الوجه الخامس:**

رَدَّ الله عز وجل على شبهتهم هذه بأن محمدًا رسول الله، يعني أن مهمته هو إبلاغ رسالة الله إلى كل صغير وكبير، وضعيف وقوي، وشريف ووضيع، وحر وعبد، فلو لبث في الأُبَّهَة والجلال والخدم والحشم والحرس مثل: الملوك، والأغنياء، والأثرياء، لم يكن يصل إليه ضعفاء الناس وصغارهم، حتى يستفيدوا منه، وهم جمهور البشر، وإذن فاتت مصلحة الرسالة ولم تكن لها فائدة تذكر(١).

- **الوجه السادس:**

ردّ الله سبحانه وتعالى على حجتهم الباطلة بأن: الذي دفعهم إلى هذه الشبهة هو ظلمهم؛ حيث قال تعالى: {وَقَالَ الظَّالِمُونَ} [الفرقان: ٨]، ثم بين سبحانه وتعالى أنه لو شاء لجعل لرسوله ﷺ ما اقترحوه، بل خيراً مما قالوه: {جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا } [الفرقان: ١٠]، ولكن علق الله ﷻ ذلك بالمشيئة، وحيث إن كل مشيئة لله تعالى فهي مقرونة بالحكمة البالغة، علمنا أنه ليس من الحكمة أن يكون للنبي جنات وأنهار(٢).

***

(١) أصول الدعوة وطرقها (ص: ١٢٠).
(٢) شمائل الرسول ﷺ (٢/ ٢٥١).

الخاتمة

وفي الختام، الحمد لله الذي وفقني لإنهاء هذا البحث، الذي كان عن "شبهات المشركين حول الأنبياء عليهم السلام"، وقد احتوى البحث على تمهيد، ومبحثين ثم الخاتمة، وتلتها قائمة المصادر، أما التمهيد فقد وضحت فيه مفهوم الشبهة وأسباب نشأتها، ثم المبحث الأول والذي ذكرت فيه تشابه شُبَه المشركين على مر العصور، فالمبحث الثاني والذي اختص بالرد على الشبهات محل الدراسة.

وقد حرصت على أن آتي بالمعلومات المذكورة في البحث من مصادرها؛ ليكون هذا البحث مفيداً لمن أراد أن يقرأ عن هذا الموضوع.

وأسأل الله تعالى في الختام أن يجعلني من الذين يعملون في سبيل منفعة الأمة، وتقديم ما يحقق مصلحة ديني وأمتي.

والحمد لله من قبل ومن بعد.

وصلِّي اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر

١. **القرآن الكريم.**
٢. أصول الدعوة وطرقها٣، بكالوريوس، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.
٣. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٤. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار القلم - دمشق، ط٨، ١٤٢٧ هـ.
٥. الشبهات المثارة حول الإسلام وموقف المسلم تجاهها، محمد أبو الفتح البيانوني، مجلة دراسات استشراقية وحضارية، العدد: (١)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٦. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٩. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١ه)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ.
١٠. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١١. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٢. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٣. رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة، عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني
١٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخران، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
١٥. شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أحمد بن عبد الفتاح زواوي، دار القمة - الإسكندرية.
١٦. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٧. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.
١٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
١٩. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٢٠. منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (المتوفى: ١٤١٠هـ)، دار المنهاج - جدة، ط٣، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م
٢١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

***